محاولة قراءة وظيفية لمنهجية حاج حمد في التعامل مع القرآن

د.محمد بابكر العوض عبد الله *

مقدمة منهجية:

قد يتشكك الناس أحياناً في جدوى ذلك النوع من الدراسات الموغلة في التجريد فالباحثين والعلماء المعاصرين عادة ما يتعاطفون ولأسباب واضحة مع التحليلات الاستقرائية المحددة أكثر من تعاطفهم مع الأفكار التجريدية العامة الأكثر طموحاً .. وهم كما يعتقد "دافيد لاندز" على خطأ في ذلك .... حيث أن الوسيلتين تؤديان وظائف مختلفة ولا غنى عن أي من الاثنين بأي حال[1]... ومن الواضح أن أعمال المفكر السوداني(محمد أبو القاسم حاج حمد) تندرج ضمن النوع الأول حيث تقوم استراتيجية التأليف على حفز الباحث / القارئ لاكتشاف الأشياء بنفسه بدلاً من إمداده بمعلومات تفصيلية حولها فهو لا يكشف عن الحقيقة العلمية بعينها، بقدر ما يساعد المرء على اكتشاف واستنتاج تلك الحقيقة ومن هنا اكتسبت قيمتها كأطروحة ملهمة للدراسات اللاحقة لها في موضوعها.

ينحصر الهم البحثي لهذه الورقة في النظر في جدوى المنهجية التي يتبعها حاج حمد في تطوير قدرات (القائم بالتأصيل والأسلمة) في أداء مهمته، وذلك بغية تمكينه من أداة منهجية في التعامل مع القرآن الكريم.

كما أن الحاجة الموضوعية للعاملين في مجال الأسلمة والتأصيل لترقية أداة إجرائية عملية في مجال التعامل المعرفي مع القرآن تدعوا إلى النظر في إمكانية استخلاص منهج تطبيقي يقوم على اختبار الجدوى العملية لمنهجية صاحب العالمية الثانية في التعامل القرآن, والنظر في مدى إمكانية توظيف تلك المنهجية في ترقية وتطوير واحدة من الملكات الأساسية الواجب توفرها في القائمين على أمر الأسلمة والمضطلعين بمهمة التأصيل (القدرة على التعامل المنهجي مع القرآن) .

وهي غاية عزيزة المنال يدرك صعوبتها من خبر أعمال ولكننا ومع ذلك قررنا تجشم الصعاب المحتملة لارتياد الخضم الكثيف من المفاهيم الوعرة والمتداخلة -التي تحفل بها أعمال حاج حمد- سعياً وراء استخلاص تلك المنهجية الإجرائية

---

* رئيس قسم التحرير والنشر بمعهد إسلام المعرفة، جامعة الجزيرة.

[1] ديفير.س. لاندز: بروميثيوس بلاقيود .ترجمه : مي رفعت سلطان ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة /ط1 ،2005م .

مستفيدين من المقولات النظرية والخبرات العملية لصاحب العالمية الثانية التي بنى عليها وبها تصوره الكلي ورؤيته الكونية حتى ظهرت على هذا النحو الذي نقرأها به الآن .

و يمكننا القول بإجمال أن أهمية البحث في مجال منهجية التعامل مع القرآن قائم على اعتبارات عدة لعل أهمها :

1- ما تشير إليه معظم التشخيصات الماثلة للواقع الإسلامي المتخلف حضارياً من أن الحالة ترجع في كثير من جوانبها إلى بعد المسلمين وواقعهم عن المثال القرآني كسبب من أسباب الأزمة الفكرية والمعرفية المنتجة لهذا التخلف .

2- التبرير للفصام القائم في واقع المسلمين بعدم وجود منهجية فاعلة في التعامل مع أصول المعرفة الإسلامية والموائمة بين قضاياها ومفاهيمها وقضايا المجتمعات المعاصرة .

3- حاجة اتجاهات الأسلمة والتأصيل بعد أنتقاداتها المتوالية للمناهج التراثية –إلى صياغة منهج معياري في التعامل مع القرآن ، منهج قادر على استيعاب وتوظيف الخبرة الإسلامية المترتبة على الاستخدام التاريخي لتلك المناهج والتجاوز الموضوعي لها ما كان ذلك خياراً إيجابياً من حيث الجدوى المعرفية . ولا شك أنه بذلك سيكون منهجاً يصلح لأن تتأسس على وجوده مشروعية وجود مشروع الأسلمة نفسه .

ويتبرر اختيارنا لحاج حمد من ناحية :

1. أن القرآن يأخذ موقعاً مركزياً في أطروحته.
2. تأكيده الدائم على أن أطروحته الفلسفية بتجلياتها المختلفة هي نتاج لابتعاث منهج خاص في التعامل مع القرآن وهو ما سلم له به عدد منالعلماء و المفكرين المسلمين المعاصرين مقرين له بالتميز والريادة في مجال التعامل المعرفي مع القرآن الكريم [2].

ومن هنا جاءت دراستنا التالية محاوله لإعادة اكتشاف أطروحة حاج حمد بقصد النظر فيها من زاوية عملية إجرائية. والتأكد من إمكانية توظيفها في تطوير قدرات (القائم بالتأصيل) في التعامل مع القرآن الكريم .

المفاهيم المستخدمة:

1. الاستكشاف: أو إعادة الاكتشاف وهو تعبير عن إعمال المناهج العلمية الحديثة في قراءة النص التأسيسي (القرآن الكريم).
2. الجمع بين القراءتين: وهو المفهوم الجوهري الذي تدور حوله الأطروحة والمتأسس بحسب رأي حاج حمد على الآيات الخمس الأول من سورة العلق .

[2] ولعل أهمهم (الغزالي ، العلواني)

3. القائم بالتأصيل: ونعني به الباحث والدارس والممارس العامل في مجال إنتاج أو تطبيق المعرفة الإسلامية المأصلة .

أولاً : ملامح منهجية التعامل مع القرآن لدى حاج حمد .

واليوم وعلى شارع المعرفة الإسلامية المعاصرة ترتفع (لافتتان) إحداهما حداثية والأخرى أصولية، ويندرج تحت اللافتة الأولى جملة ممن يؤمنون بالقول بأن مشكل الواقع الإسلامي ينطلق من مفارقته للمثال الإنساني الحاضر(الحداثة الغربية) وذلك تبعاً لارتهانه لرؤية تراثية يتحكم فيها المقدس على العقل، بينما يندرج تحت اللافتة الثانية جملة ممن يدينون بالقول بأن هذا المشكل يتأسس على مفارقة الواقع الإسلامي للمثال القرآني والتحكم فيه وفق رؤية وافدة لا تتجانس مع بنيته المعرفية ولا بيئته العقدية.

وبين المجموعتين تتباين المواقف والآراء حول معظم القضايا المطروحة على الساحة .. ولا يشذ عن ذلك حتى القضية التي نحن بصددها (قضية منهجية التعامل مع القرآن الكريم) والتي قد تسمى من منظور مغاير (منهجية التعامل مع النص الديني) او (النص التأسيسي)، غير أن أول مفارقة تجابه الناظر إلى مشروع حاج حمد هي استعصائه على التصنيف على تعدد محاولات الاحتواء من قبل الطرفين كلاهما، ودون اتخاذ موقف من المجموعتين تبقى محاولة المعالجة المتعالية نوع من التضليل[3].

.. ومن هنا يكتسب الاعتراف بأن النقطة التي تنطلق منها دراستنا والموقع الذي ننظر من خلاله لأعمال حاج حمد هو موقع مدرسة (إسلامية المعرفة) بمقولاتها المعلومة والتي تضعها في قلب (الجماعة الأصولية) وإن كان لها في ذلك الموقف خصوصيتها وسماتها المائزة. فقد تميزت هذه الجماعة العلمية عن بقية مكونات هذا المحور بالتاكيد الدائم على الجانب الفكري والمنهجي وتشخيص أزمة الواقع كـ"أزمة فكرية ومنهجية بالأساس لا عقدية ولا فقهية، والنظر إليها باعتبارها أزمة ثقافية أكثر منها سياسية وأنها تحد داخلي أكثر منها تحد خارجي"[4] ومع أن لحاج حمد آراء مخالفة لهذه المدرسة حتى في بعض قناعاتها الأساسية إلا أن مدرسة إسلامية المعرفة احتضنت حاج حمد وأطروحته حول منهجية التعامل مع القرآن منذ وقت باكر من تسعينيات العقد الميلادي المنصرم.

وربما كان في ذلك القرار باصطفاء أطروحة حاج حمد إقرار ضمني لها بالتميز واعتراف – وإن لم يكن مجمعاً عليه- بما تقدمه من طرح شامل ومتماسك في هذا الجانب والذي يحل إشكالاً رئيسياً من الاشكالات التي نبهت لها مدرسة

---

[3] الحق بطبيعته لا يقبل التعدد : فاختر لنفسك أي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم وأعوج

[4] كما جاء في (المؤتمر التأسيسي الأول لاسلامية المعرفة) عن محمد ابو القاسم حاج حمد :منهجية القرآن المعرفية دار الهادي الطبعة الأولى 2003 ص 8

إسلامية المعرفة وهو ما يقرره الدكتور طه جابر العلواني بقوله" وحين بدأ –حاج حمد-بالبحث والدراسة في قضية إسلامية المعرفة، وبدأت بدوري بدراسة فكره في كتبه ودراساته المختلفة، وجدت أنّ أهم أبعاد الأزمة الفكرية وأهم جوانب الأزمة المعرفية كانت تكمن في طريقة تعاملنا مع القرآن الكريم، وهي حقيقة لم تكن غائبة عن مدرسة إسلامية المعرفة، ولكن كان الغائب هو كيفية اكتشاف منهجية معرفية قرآنية بحيث تكون هذه المنهجية القرآنية معالجة جادة لأزمتنا الفكرية ولأزماتنا المعرفية والثقافية والتشريعية، نقلة نوعية تعيننا على استيعاب مشكلات عصر التدوين وتجاوزها".

ولا شك لدينا أننا في هذه الورقة نتعامل مع الجزء الأهم من أطروحة الاستاذ الراحل والتي وإن حوت كثيراً من المضامين المعرفية وغطت عدداً من المحاولات الموضوعية المختلفة إلا أن روح النظرية كان قائماً على مركزية الوحي القرآني في بنيتها ، وتأكيد منهجي على تعيُّن "القرآن" إلى جانب "الكون" موضوعاً للنظر، والتزام بالمفهوم القرآني كضرورة منهجية لازمة لتجاوز الواقع.

يصف حاج حمد في دراساته المختلفة منهجه بأنه منهج جديد في التعامل مع القرآن يقوم على(التحليل) عوضاً عن (التفسير) وبأنه اكتشاف بوعي مفهومي تاريخي مغاير للرؤية التراثية، وبأنه يقوم على التبيين المنهجي في إطار الوحدة القرآنية بطرح الجزء في إطار الكل عوضاً عن المنهج التقليدي القائم على النظر التجزيئي للقرآن ..وفي هذه العملية يفاضل حاج حمد بين منهج التحليل اللغوي البياني (البلاغي) السائد في التراث الإسلامي -والذي يؤثر العدول عنه-و بين المدارس الألسنية الحديثة –الذي يتبناه -وبالتالي فإنه حين يربط بين النص والقضية المورد خلالها سنلاحظ أنه لا يحفل كثيراً بالدلالة اللغوية للنص (الألسنية البلاغية) مستعيضاً بالمنهج المعرفي (الذي يسميه بالحفر الألسني) حاسماً تلك المفاضلة لصالح الأخير دون بيان لوجه التفضيل وهو ما عرَّض الأطروحة لكثير من النقد، فأفضلية المنهج ليست صفة لازمة له في ذاته بل لعوامل أخرى متعلقة بقدراته الأدائية.

الملاحظ أنه وفي منهجية التفاعل بين القرآن والواقع أن الحقيقة المنهجية لدى حاج حمد لا تتحرك من داخل النص باتجاه (القارئ /الواقع) ومن ثم تكتسب صفتها كرؤية قرآنية، قائمة على الإرادة الإنسانية في الاستهداء والتعبد، وإنما تتحرك من أسئلة التفاعل بين القارئ والواقع لاستلهام ما يعززه أو الوقوف على ما ينفيه أو يعدله، ويفاجأ الإنسان هنا أنه لا يكاد يجد منهجاً ناظماً لهذه العملية الاستلهامية التي ينظر بها حاج للقرآن فلا هو (منهج استدلالي) على نمط ما قام به الفقهاء ولا هو (منهج استنباطي) على نحو ما هو معتمد عند الأصوليين ولكنه أقرب إلى المنهج الإشاري العرفاني وقد لا نبالغ إذا قلنا أن منهج حاج حمد لا يفعل أكثر من أن يضيف إلى أدوات القراءة إلى جانب الحواس الادراكية أداة هي أشبه ما تكون بما يشير إليه الغزالي (بالحدس) ولكنه يخرجها من الدائرة العرفانية إلى دائرة الفعل الموضوعي لتصبح أدوات لهذه القراءة (السمع والبصر والفؤاد).

يعتمل في منهج حاج حمد في التعامل مع القرآن نوعان من الأدوات المنهجية تقوم الأولى على إعادة الاكتشاف وفق إعمال العلوم الحديثة في بنية النص القرأني حيث يرى أن رسالة القران في جملتها قائمة على التفاعل مع المعرفة الإنسانية وهو ماوعاه الصحابة رضوان الله عليهم مستنداً الأثر الشهير " ثوروا القرآن تظهر لكم كنوزه ومعانيه[5]بينما تتأسس الثانية على الآيات الخمس الأول من سورة العلق حيث يعتمد المنهج -كما يقول في بعض مقالاته العلمية- على ارتباط التفاعل بين جدليات ثلاث ، هي جدلية الغيب وجدلية الإنسان وجدلية الطبيعية في إطار كوني واحد، وذلك عبر أداة معرفية هي (الجمع بين القراءتين)[6].

ويتبلور هذين الاجرائين المنهجيين عبر مقولة: اعادة الاكتشاف (منهج الاستكشاف) و مقولة (الجمع بين القراءتين) وتتأسس المقولة الأولى على نتائج المعرفة المعاصرة في مجالات(الابستومولوجيا) و(الحفر الألسني) فتمثل بذلك نظرة من الخارج .بينما تتأسس المقولة الثانية على أول ما نزل من القرآن (الآيات الخمس الأول من سورة العلق) فتمثل بذلك نظرة من داخل النص القرآني .وهو ما سنجتهد في بيانه في الفقرات التالية.

أ- المنهج الاستكشافي (إعادة الاكتشاف):

وقوامه إعمال نتائج العلوم الإنسانية الحديثة في تحقيق وعي بالحقيقة القرآنية مغاير للوعي التراثي.وذلك عبر "إعادة اكتشاف" وفق توجهات المنهج المعرفي الإبستمولوجي المعاصر وأدواته التحليلية المفتوحة .. هنا بالذات يفرض القرآن نفسه ويضعها قيد الإختبار الابستمولوجي . علماً بأنه يأتي من عالم غريب على أدوات الابستمولوجيا المعاصرة ، يأتي "ليستوعب محدوديتها "ثم يستصحبها دون عداء بالاتجاه الكوني اللانهائي. فالقرآن قد حطم في معرض إظهاره لأزلية القدرة الإلهية فرضيات السببية الجامدة ونتائجها الوضعية..[7]

ويبين حدود اعتماده على الألسنية المعاصرة بقوله "فحين أستعين (بالألسنية المعاصرة) فإنما استعين بها لتدقيق معنى المفردة في القرآن كاصطلاح غير قابل للترادف والمشترك والمجاز، فلو كانت المفردة القرآنية حمالة أوجه لأصبح المنهج فوضى معرفية. ولكني مستدرك لحدود ما تعطيه الألسنية، لذلك أميّز بين الاستخدام الإلهي للمفردة العربية وليس الألسني فقط والاستخدام البلاغي العربي لها. كما يقرر أن اشتغاله بالألسنية ليس (بيانياً) مجرداً، فإعطاء المفردة القرآنية (دلالتها) يعني الجمع بين (منهج التحليل المعرفي) و(ألسنية المفردة) ويمثل بتحليله لمفردة (اهبط) في القرآن باعتبارها غير مفردة (إنزل) وقاصداً بها (التدني في الدرجة) وليس (النزول في المكان) بادئاً بهبوط آدم (عليه الصلاة والسلام) قائلاً أنه

---

[5] "ويفسرها الشيخ الشعرواي " ما معنى: ثوروه ؟ أى هيجوا أساليبه لكى تظهر لكم الأشياء الخافية كما تثور الأرض لتخرج كنوزها "

[6] حاج حمد : إسلامية المعرفة المفاهيم والقضايا الكونية مجلة تفكرُّ ، مجلد (3) ، عدد (2) ، 2001م/ 1422هـ الخرطوم ص

[7] حاج حمد : المصدر السابق ص14-15

استخدم نفس معنى الدلالة (الهبوط) لنوح ومن معه من الفلك، هنا الألسنية وحدها لا تكفي – في حال نوح بالذات – إلا إذا أدركنا (المنهج) فنوح وقومه قد رُفعوا إلى عالم (الأمر) طوال (48.5) سنه وهم داخل (الفلك المغلق) حيث ماء السماء منهمر من أعلى، وماء الأرض متفجر من أسفل، فضرب الله – سبحانه – على آذانهم بما يماثل حالة أهل الكهف سنين عدداً، والضرب على الآذان من سمات عالم الأمر المطلق فوق الإرادة ولهذا قيل له (اهبط بسلام) وليس انزل.

ب- منهج الجمع بين القراءتين :

وقوامه قراءة قائمة على السبر والاستغراق وما يستوقفنا في هذا الجزء من الأطروحة موضوعان هامان يتعلق الأول بمفهوم ونظام القراءة بينما يرتبط الثاني بقضية الاستناد في تبرير المنهج إلى الآيات الخمس الأول من سورة العلق وسنحاول هنا معالجة الموضوعين جملة واحدة. في التجربة الأوروبية هاجم جاليليو جاليلي (Gulileo Galilei) الاعتقاد الديني بأن الله منح الإنسان كتابين فقط هما الكتاب المقدس والطبيعة . وجدف بزعمه أن لغة كتاب الطبيعة هي لغة الرياضيات والتجربة دون أن يستعين بالكتابات المقدسة[8] ما فعله حاج حمد يكاد يكون عكس ذلك فهو يقول أن لغة القرآن هي لغة رياضية قادرة على قراءة (القرآن/الإنسان/والطبيعة) قراءة دقيقة بدقة العلم الرياضي وأن القرآن بهذا المعنى يمثل معادلاً موضوعياً للكون. ويحفل قاموس حاج حمد بعدد من القراءات المتباينة (قراءة بالله، وقراءة مع الله، قراءة مهيمنة، قراءة كلية، وقراءة تجزيئية، قراءة استلاب).

وفي تعريفه لمعنى القراءة في نظرية الجمع بين القراءتين يقول هي "قراءة أولى بالله وبالوحي الإلهي بصفة الله خالقاً: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**)وقراءة ثانية موضوعية بمعية الله وبالقلم (**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) فالقراءة الأولى كونية تستمد من الوحي الغيبي عبر القرآن، والقراءة الثانية موضوعية، حيث يهيمن القرآن بالرؤية الكونية للقراءة الأولى على شروط الوعي الإنساني في الواقع الموضوعي، (ليستوعبها) في إطارها العلمي النقدي التحليلي (ويتجاوزها) باتجاه كوني مستمد من الوحي الإلهي القرآني. فالقراءتان ليستا متقابلتين، قراءة في القرآن تقابلها قراءة في الكون، وإنما هي قراءة بالقرآن تهيمن على قراءة الكون المتحرك بشروطه الموضوعية".

وهي رؤية متقدمة ومعبرة على نحو استثنائي عن حال المصاحبة والاستحضار للنص القرآني حال القيام بالممارسة العلمية والبحثية وهي حالة يتحول فيها القرآن من موضوع للقراءة إلى أداة للقراءة لتنتج قراءة بالقرآن تتحول إلى موضوع آخر (الكون)(الإنسان)(الطبيعة) ثم يعود (القرآن) حيث تبدأ القراءة بالقرآن وتنتهي به.

[8] تود. ج. بوشهولز : أفكار جديدة ترجمة نذيرة الافندي وعزة الحسيني ، المكتبة الاكاديمية ط 1 (القاهرة 1996م)

و القراءة أياً كانت تقتضي نظاماً للقراءة (أبجدية) حتى أن القرآن ولاتساع المفهوم عندما ذكر القراءة قيدها (بالقلم) "إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ".

إن الجزء المفقود في هذه الرؤية هو (نظام القراءة) وما هي طبيعته وكيف يتم اكتسابه حتى يدخل حيز الوسع والاستطاعة ومن ثم يصبح نظاماً حاكماً على المتعامل مع القرآن إذ "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها " خاصة أن حاج حمد يرى أن هذه القراءة قراءة واجبة. وما يقدمه حاج حمد في هذا الإطار هو مجموعة من التطبيقات المتناثرة هنا وهناك دون أن يحدد نظاماً أو يعين أداةً. والسؤال الذي سيبقى مطروحاً هل يمكن لأحد أن يضع نظاماً معيارياً لقراءة القرآن؟ وما مدى مشروعية تعميم ذلك المعيار وفرضه على جملة المتعاملين مع القرآن؟

أعتقد أن الإشكال يبدأ من كلمة (قراءة) نفسها فكما ذكرنا فإن القرآن عندما أمر بالقراءة بين في ذات الآيات أداة القراءة (القلم)، والقرآن من خصائصه الأساسية الإبانة إذ لا يكتفي بتقديم المعاني وإنما يقدم مشاهد قادرة على إعطاء دلالة إضافية مهمتها الأساسية هي زيادة الإيضاح لتحقيق الفهم الأمثل وفي هذه الآيات التي تعالج قضيتين أساسيتين متعلقتين بالإنسان هما (قضية الوجود وقضية المعرفة) تم المعالجة القرآنية لها بثلاث أفعال (إقرأ/خلق/علَّم) ففي القضية الأولى وللإجابة على سؤال الوجود الأول جاءت (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وحينما تولد في العقل سؤال الكيفية تم اعادة الفعل (خلق الإنسان من علق) لأن وعي الإنسان في مراحله الأولى يظل مربوطاً بالحس متمحوراً حول (الأشياء/الأسباب) وفي الشق الثاني من الآيات وللإجابة على سؤال المعرفة ومصدرها (إقرأ وربك الأكرم) وحينها تولد في العقل سؤال الكيفية جاءت (الذي علم بالقلم) والله أعلم.

إن التعبير بفعل (القراءة) عن المنهجية الشاملة في التعامل والتفاعل بين القرآن والإنسان والكون التي تحدث عنها حاج حمد قد يولد إشكالاً حيث لا التعبير يبدو وافياً بكل مقتضيات تلك المنهجية. من ناحية أخرى هناك اعتراض على وجه الدلالة في الآيات الخمس الأول من سورة العلق على مضامين ومقتضيات الجمع بين القراءتين .

ثانياً : الموقف العلمي من هذه المنهجية:

المؤيدون من جيل الرواد: إذا كانت اللحظة التاريخية التي انبجست عنها أطروحة حاج حمد (جدلية الغيب والإنسان والطبيعة) ترجعنا إلى احباطات التيار القومي (1967)[9]، فإن الاهتمام بمضامين الأطروحة جاء من قبل التيار الإسلامي .وهو ما كان يعيه حاج حمد بشكل جيد مما حدى به لاعادة كتابة اطروحته لأكثر من مرة وتخليصها من كثير من المضامين التي كانت تجعلها أكثر التصاقاً بالمشروع (الحداثوي) والتحرك بها باتجاه الإسلام الأصولي[10]. على مستوى الساحة العلمية

[9] راجع عبد المنعم مصطفى (حوار مع قناة النيل الأزرق)

[10] لتنتهي بانضمام صاحب العالمية الثانية إلى ركب مدرسة إسلام المعرفة مستشاراً للمعهد العالمي للفكر الاسلامي ، ومنظراً رئيسياً في أحد أهم محاور اهتمامها

حظيت محاولة حاج حمد باهتمام واسع من قطاعات علمية مختلفة إلا ان أهمها بلا شك كان ما قابلت به مدرسة إسلامية المعرفة ورموزها ومناصريها تلك الأطروحة ولعل من المناسب في هذا السياق أن نبدأ الموقف العلمي لأحد رواد تلك المدرسة هو د. طه جابر العلواني الذي يصف حاج حمد ومنهجيته بقوله:"هو فيلسوف أخذ من الفلسفة والفكر والعلم بنصيب وافر، وهذا الكتاب (يقصد كتاب العالمية الإسلامية الثانية) شاهد على ذلك، حيث يشير إلى حظّه من الفكر المستنير، والقدرة التحليلية المتماسكة. لكن الأهم من ذلك كله تلك الطاقة والصبر والجلد على دراسة القرآن الكريم، وهي دراسة تتصف بالتلاوة والتحليل والتتبع، وتتبنى وجهة نظر متميزة؛ مفادها أن هذا القرآن المجيد معادل موضوعي للكون، فالقرآن كتاب الله المسطور، والكون كتاب الله المنثور، و الإنسان مستخلف في الأرض يهتدي فيها بالجمع بين القراءتين، ويكون من تدبره للوحي ما يعينه على اكتشاف آفاق الكون وقوانينه وتوظيفها في بناء العمران، ومن تدبره للكون وسننه ما يهتدي به لفهم القرآن ولاكتشاف سننه ومنهجيته الناظمة له كله ."[11] ويضيف أيضاً " ووجدت فيه تعلقاً بالقرآن وعشقاً له وحباً فيه، من الصعب أن تجد من يباريه أو يجاريه فيه. وأهم من هذا وذاك اعتقاده أن أي شيء في الوجود وأي شأن من شؤون الإنسان يمكن أن يجد له في القرآن أصلاً أو مؤشراً أو محدداً أو موجّهاً أو منبهاً يعين على فهمه ويعين على إدراكه ويعين على توجيهه الوجهة المطلوبة، وكنا آنذاك قد بدأنا مشروعنا العظيم والمهم للعمل في (إسلامية المعرفة) فوجدت في الكتاب وفي الرجل قاعدة أساسية، نحتاج إليها في بناء إسلامية المعرفة.

فالرجل من خلال اتصاله بالقرآن العظيم وتعامله معه -على ذلك المستوى المعرفي العالي- يشكل إضافة نوعيّة إلى مدرسة إسلامية المعرفة لا يمكن لها أن تجدها في شخص آخر فيما أعرف ويعرف إخواني، فبادرت إلى دعوته إلى الانضمام إلى هذه المدرسة المباركة وإلى ممارسة جهده في إطارها ومن خلالها، وقد كان".

وهي نقطة يقف عندها ابراهيم محمد زين[12] عند صدور الطبعة الجديدة لكتاب العالمية الإسلامية الثانية لمحمد أبو القاسم حاج حمد والمقدمة التي كتبها د. طه جابر تبين الجهد الذي بذله المقدم في تحويل الوضعية المستبطنة والصوفية الشاطحة عند الأستاذ أبو القاسم حاج حمد إلى أطروحات يمكن أن تدرج في السياق العام للخطاب الإسلامي المعاصر. وذلك يؤكد القدرة الفائقة للدكتور طه جابر على متابعة الخطاب الإسلامية المعاصر ورصده وتحويله بصورة إيجابية إلى أطروحات إسلامية المعرفة. ولعلّ ازدواجية المفكر والاستراتيجي في شخصية د. طه جابر مهمة في فهم العلاقة بينه وبين الأستاذ أبي القاسم حاج حمد، فصوت المنظِّر الرائد لتيار إسلامية المعرفة يتناغم مع مسؤوليات المنظم الاستراتيجي لذلك التيار، ويسعى

[11] حاج حمد : العالمية الاسلامية الثانية :مقدمة الجزء الأول .

[12] في تحليله لكتاب العلواني(إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر)

ذلك التكامل إلى توجيه "حركة الفكر وفكر الحركة" إلى الاتجاهات الإيجابية والمفيدة لتيار إسلامية المعرفة. ولكن إذا اختل ذلك التوازن بين المفكر والاستراتيجي فإنه قد يفضي إلى نـزوات فكرية تضيّع معالم المشروع بكليته."[13]

ومن الذين ناقشوا أطروحته حول منهجية القرآن المعرفية المرحوم الشيخ محمد الغزالي ومن أهم أوجه الشبه بين منهجية كل من الرجلين (حاج حمد ، الغزالي) في التعامل مع القرآن الاشتراك في الموقف المتجاوز للتراث والاتجاه نحو التجريد بالتركيز على النظرة الكلية،حيث يميل الغزالي إلى منهج التحليل الموضوعي للقرآن لما فيه من شمولية والتأكيد على حاكمية القرآن بكله وأجزائه على السنة . وربما ارتبط موقف الغزالي من أطروحة حاج حمد التي دفعت إليه من قبل المعهد العالمي للنظر فيها أنه كان صاحب الكتاب الأول في محور التعامل مع لقرآن ذات المحور الذي يكتب فيه حاج حمد، لذلك كان مناسباً وقبل أن يلتفت المعهد إلى طرح جديد أن يؤخذ رأي صاحب الطرح الأول في آخر الأطروحات المقدمة في ذات المحور وهو ما يبدو أنه قد كان مستوعباً من قبل الغزالي، فكان طبيعياً أن يجئ موقفه هادءاً (على غير عادته) وخالياً من الاستدراكات إلا قليلاً إذ أن الموقف لا يستحمل غير ذلك فقد اكتفى الغزالي بالقول بأن أطروحة حاج حمد تمتاز بالعمق مقارناًً بينها وبين كتاب علامة الشام (نديم الجسر) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن قائلاً أن بين الكتابين بون بعيد وان تشابهت الموضوعات جداً.

موقف الجيل الثاني من باحثي إسلام المعرفة: وقد كان العاملون في إطار الاسلمة والتأصيل هم الأكثر اهتماماً بأطروحة حاج حمد للاسباب التي ذكرناها آنفاً ولأنهم الاكثر معايشة للاشكالات المتعلقة بمنهجية التعامل مع الأصول المعرفية الإسلامية في حالة تفاعلها مع المعرفة العلمية الحديثة وسنرجع في مادة هذه الورقة إلى خمس من الدراسات المنجزة حديثاً حول أعمال حاج حمد معظمها لباحثين شباب يشتركون في الانتماء لمدرسة إسلامية المعرفة وهي عبارة عن رسالتي دكتوراة ومقالين علميين.

ونبدأ بالمقالين الذين نشرتهما مجلة تفكر الأول لأبي يعرب المرزوقي بعنوان: كيف نفهم آراء صاحب العالمية الثانية عالج فيه المرزوقي مقولتين هامتين في الأطروحة تتعلق الأولى بفرضية لغة القرآن التي يراها حاج حمد بدقة اللغة العلمية والرياضية وسوء فهم العرب للقرآن، لأنهم حاولوا استعمال علوم لغتهم وآدابهم في الفنون التفسيرية. وتعلق المقولة الثانية بفرضية اعتبار تدوين السنة تحريفا جنيسا لتحريف اليهود للتوراة بالتلمود وإرجاع استبداد الفقهاء لمجرد تدوين الحديث. وبتحليل منطقي دقيق يعالج المرزوقي نقاط ضعف جوهرية في الأطروحة عبر تحليله لهاتين القضيتين والجزء الذي يعنينا منها هنا هو ما تعلق بالسنة والذي سنشير إليه في موضعه[14].

---

[13] إبراهيم حمد زين: إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر،قراءات ومراجعات مجلة إسلامية المعرفة العدد (6)السنة الثانية .

[14] أبو يعرب المرزوقي : مجلة تفكُّر ، مجلد (7) ، عدد (1) ، 2005م / 1426هـ ص 205

والمقال الثاني لقيس محمود حامد والمنشور يعرض فيه الباحث تحفظات تفصيلية على مبادئ منهجية في الأطروحة معالجاً عدداً من القضايا التطبيقية لتنتهي الدراسة إلى أن اجتهادات حاج حمد تتلخص في محاولة أوْرَبة أو أمْرَكة الإسلام ؛ لأنه لم يقدم رؤية شاملة للاجتهاد في الإسلام، ولكن وضع عدداً من القضايا أمام ناظريه وحاول أن يجد لها حلاً، وكان الاجتهاد عنده يدور حول خمس قضايا، هي الجهاد ,الحدود, المرأة والربا زائداً الدولة التي اختارها علمانية[15].

أما رسالتي الدكتوراه فأولاها من إنجاز طارق الصادق عبد السلام وعنوانها (القواعد العامة للمنهجية الإسلامية للعلوم) وقد أشار فيها إلى السؤال محور هذه الورقة وهو "كيف يتم الجمع بين القراءة الأولى و القراءة الثانية التي سماها حاج حمد بالقراءة الموضوعية المنتجة للعلم الوضعي عبر القلم؟ ويجيب لا محمد ابو القاسم حاج حمد مبتدع مفهوم الجمع بين القراءتين –ولا طه جابر العلواني الذي أخذ المفهوم عنه – بشئ من التصرف والاختلاف قد بينا صراحة كيفية الجمع بين القراءتين وكيف يكون هذا المفهوم هو الذي يخلق المنهجية المرجوة لربط العلم والمعرفة بالوحي الكريم"[16]

أما رسالة أبوبكر محمد احمد فيشير (مفهوم التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية) على نحو عابر إلى أن في التحديد الذي وضعه حاج حمد لمفهوم الجمع بين القراءتين بقوله أن القرآن يمثل (معادلاً موضوعياً) في بنائه للكون يكون قد اقترب بمفهومه كثيراً من المحاولات التي قام بها الشاعر والناقد الإنجليزي (ت . إس إليوت)....والتي استمد منطلقاتها الفكرية من المدرسة الميتافيزيقية في الشعر الإنجليزي في القرن السابع عشر ، فقد أخذ (إليوت) منهم المزج بين الأفكار الدينية والمعارف الدنيوية في القصيدة الواحدة بل في البيت الواحد من الشعر وقد عبر إليوت عن أفكاره فيما عرف ب(نظرية المعادل الموضوعي Objective Correlation[17]) . وفي ذلك إشارة الى التناص الذي يمثل ظاهرة بارزة في نص حاج حمد وهي ظاهرة تستحق البحث والدراسة.

هذه إشارات عابرة لمواقف مجموعة من باحثي أسلمة المعرفة وتأصيل العلوم تعكس مستوى القلق الذي تخلقه بعض مقولات الأطروحة لدى القائم بالأسلمة والتأصيل ويترتب عليها استدراك على مفاهيم ومقولات ومواقف جوهرية في الأطروحة هي (مفهوم الرؤية الكونية و القول بجدلية العلاقة بين المكونات الثلاث ومطلقية تلك المكونات والموقف من السنة والتراث) وهو ما سيتم بيانه هنا.

1- **مفهوم الرؤية الكونية:** هناك سؤال أساسي نرى من المناسب إن تسبق به مثل هذه المحاولة للنظر في أطروحة حاج حمد وهو السؤال عن مدى معقولية وموضوعية إنجاز وصف معياري لـ(رؤية كونية) كلية عبر بحث مكتبي محدود

---

[15] قيس محمود حامد : مجلة تفكر مجلد (6) ، عدد (2) ، 2005م / 1426هـ ص 156

[16] طارق الصادق عبد السلام : القواعد العامة للمنهجية الإسلامية للعلوم ، مجلة تفكر مجلد (7)عدد(8) 2006م/1427هـ ص(73-74)

[17] أبو بكر محمد أحمد محمد إبراهيم : مفهوم التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية . رسالة دكتوراة تحت الطبع صـــ82-83-.

"بالإطار الموضوعي لصاحبه" من ناحية ومحدود من حيث الأمداء الزمانية والمكانية التي يشرف عليها، و محدود معرفياً من حيث ما يستند عليه من خبرات وما يعتمد عليه من مصادر وما يحيط به من قضايا وهو ما يعترف به حاج حمد نفسه "وقد حاولت جهدي أن أؤكد في هذه الدراسة على أهمية (التحليل المنهجي) للكتاب في كليته عوضاً عن التفسير التقليدي للكتاب في أجزائه. وهي محاولة جديدة تتطلب استيعابا مسبقا لعدة علوم تخصصية في مجالات التاريخ واللغة والطبيعيات والفلسفة إضافة إلى علوم الثقافات القديمة والأديان المقارنة، ولا أعتقد أنه بإمكاني إدعاء هذا النمط من الاستيعاب الموسوعي . لم أطرح –إذن سوى مقدمة التحليل المنهجي وكيفيته، على أمل أن ينهض بالعبء الضروري طائفة من العلماء المتخصصين في مختلف هذه المجالات"من ناحية ثانية فإن مفهوم الرؤية الكونية المزمع استنباطها من القرآن الكريم إذا كانت ستتشكل ضمن الأطر الموضوعية المذكورة فإنها وإن خرجت عن الرؤيتين اللتين حددهما الباحث (الوضعية/اللاهوتية) لن تقوى على تجاوز موضعها كرؤية ذاتية إلا إذا تحقق لها قدر عال من الإجماع.

2- **القول بجدلية العلاقة بين المكونات الثلاث ومطلقية تلك المكونات:** العلاقة بين الإنسان والقرآن بطبيعتها علاقة موضوعية يختزلها البعض بقولهم أن الإنسان هو موضوع القرآن الكريم، بما أنه هو المستهدف بالرسالة القرآنية وهو مجال عملها. وليس بمستغرب والحال ما ذكرنا أن توجد علاقات موضوعية بين " الإنسان " موضوع الرسالة القرآنية وبعض مضامين تلك الرسالة. وقد نجح المنهج التفسيري التقليدي في تكييف وتفسير ذلك النوع من العلاقات من خلال بحث" أسباب النزول"مع التأكيد على نسبية ما تحويه من مضامين بينما بقيت محاولات الأطروحات المعاصرة للتعامل مع هذا البعد غائمة وعامة إلى حد بعيد. والجدلية باعتبارها علاقة قوامها النفي والإثبات لا وجود لها في شكل حكم على العلاقات الثلاث" الغيب والإنسان والطبيعة. وعلاقة الاستواء بين المطلقات الثلاث، القرآن والإنسان والكون، يكيفها حاج حمد باعتبارها مسلمة أساسية في بناء المنهج؛ حيث يرى أن القرآن بمطلقه هو الوعي الوحيد الذي يقابل مطلق الإنسان ومطلق الكون، فهو يتضمن الوعي المتكافئ مع مطلق الإنسان والكون عبر القراءة الأولى. وللقول بإطلاقية المكونات الثلاث للجدلية يلزمنا أن نصطلح على معنى جديد للإطلاق وإلا تناقض قولنا مع منطق القرآن نفسه. فإذا كان الإطلاق يعني اللا محدودية واللا نسبية فهو المعنى الذي حرص القرآن على تأكيد ضده في شأن الإنسان "لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس" "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً "فهو محدود باتجاه الطبيعة ومحددة بالنظر إلى العلم المطلق ومحدود زمانياً بحدود العمر الشخصي والوجود التاريخي للإنسان على سطح الأرض .

3- **الموقف من السنة والتراث:** يتخذ حاج حمد موقفاً من السنة يتسم بالغموض ففي بعض أبحاثه يرى أن السنة هي مدخل التحريف إلى الإسلام (في حين أن الاسلام رسالة خالدة غير قابلة للتحريف) وفي مواضع أخرى يقول أنه يفصل بين التراث والسنة تنزيهاً للسنة عن الموقف الذي يتخذه من التراث وقد حرر المرزوقي هذه القضية على نحو جيد لم يدع للموقف المتحفظ من السنة مبررات يستند إليها .

الشئ الثاني أن السنة جاءت عبر عدة أدوات القرآن واحد منها والغاء الأدوات الاخرى يذهب بجل السنة، إضافة إلى أن العلاقة بين السنة والقرآن علاقة عضوية فالسنة حامل للقرآن وناقل له عبر الزمان والمكان لا سنة النبي وحده بل سنته وسنة الخلفاء من بعده وأي محاولة لتجاوز هذه الحقائق تسلم صاحبها إلى دور لا نهاية له. بالنسبة للتراث يؤكد حاج حمد أنه لا يدعو إلى قطيعة مع التراث ولكن موقفه منه سلبي على كل حال وتعبر مقولة الاستيعاب والتجاوز عن هذا الموقف بشكل أساس. إن عملية استيعاب/تمثل التراث تحيله إلى مكون بنائي جديد، ومن ثم يبدأ السؤال عن معنى التجاوز هل هو تجاوز ابتدائي قبل (الاستيعاب/التمثل) أم انه تجاوز للنتائج اللاحقة لهذا(الاستيعاب/التمثل). ومجرد الموقف السلبي من التراث يعيق عمليتي الاستيعاب والتمثل ومن ثم يحرم التجربة من التنامي الضروري لتطويرها وتقويمها، وبما أننا نتحدث عن التراث في الجزء المتعلق منه بمناهج التعامل مع القرآن باعتبار أن الخطاب القرآني ليس كتاباً موجهاً إلى ذات مفردة وإنما تستهدف رسالته وعي الجملة الذي يختلف في كثير من الحالات عن المنظور الفردي ولا يساوي بأي حال مجموع اراء الأفراد حيث تبرز الجماعة في القرآن كذات لها قوامها الخاص وشخصيتها الخاصة وقضاياها الخاصة. ولأن القرآن لم يكن في يوم عقيدة للخلاص الفردي فلابد لهذا البعد أن يستصحب في أي منهجية رشيدة للنظر القرآني. إن وعي هذه الأمة بالقرآن وللقرآن حقيقة تاريخية لا سبيل لتجاوزها وفق أي منهج ولا مصلحة ترجى من هذا التجاوز الثوري الذي تدعوا له مدارس الحداثة إلا أن يكون إحداث القطيعة المعرفية هي غاية في حد ذاتها في سياق هو أقرب إلى الإهدار منه إلى الإعمار .

كما أن الحقائق المتضمنة في التراث هي حقائق علمية لا تقل في اهميتها عن حقائق العلم المعاصر طبيعيه وإنسانيه فالتحرير والتنوير الذي أطلق العقل للوصول إلى الحقائق الكونية تخلَّق في رحم هذا التراث، هذا بالنظر إلى العلم الطبيعي، وبالنظر إلى القرآن نفسه فإن حقيقة استحالة التعامل مع القرآن إذا تجاوزنا اللغة كمدخل أساس حقيقة هي الأخرى من البداهة بحيث لا ينكرها إلا خارج عن الإطار المعرفي الضروري للإحساس بها.

ثالثاً :الخصائص المنهجية لمشروع حاج حمد في التعامل مع القرآن:

وإذا طبقنا ما سبق على قضية الاستدلال بالآيات الخمس من سورة العلق سيتبين لنا الأمر على نحو أوضح فالحيثيات التي يتم بها ربط رؤية حاج حمد لمعالجة الواقع الجدلي الذي يقرره مسبقاً حيثيات متعلقة بالذات القارئة أكثر من تعلقها ببنية النص، فليس في ظاهر النص ما يدل على استيعابه لكل المضامين التي تسوقها حيثيات النظرية .[18]

[18] فإذا أردنا النظر إلى الايات بمنطق رياضي فإننا سنضع مقولة حاج حمد الأولى (القراءة بالله) على النحو الاتي: إقرا باسم ربك = القراءة بالله اذن اسم ربك = الله. وهي نتيجة خاطئة منطقياً لأن الاسم صفة لذات صاحبه وليس هو الذات نفسها. وفي المقولة الثانية (قراءة مع الله)على النحو الاتي: إقرأ وربك قراءة مع الله يقتضي أن العلاقة بين (أنت) وربك الأكرم علاقة معية مما يعني وجود اداة أو قرينة تدل على المعية فإذا كانت الاداة هي الواو فيجب أن تقوم ما تقوم به واو المعية من نصب معمولها وهو ما لم يحدث هنا كما أن الجملة لا تحوي قرينة مخصصة (صفة، توكيد، فعل، خبر) وبالتالي تصبح

الخلاصة :

بالنظر إلى تاريخ التعامل مع القرآن سنجد ان هذا التعامل لا ينفك يتجلى على ثلاث مستويات:

تعامل تعبدي يهدف إلى تحصيل الهداية وتعامل تشريعي يهدف إلى استخراج الاحكام وتطبيقها على الحوادث والأقضية والنوازل وتعامل معرفي يهدف إلى تحصيل الحقائق العلمية حول الوجود الدنيوي والأخروي. وإذا كان التعامل الأول مقتصر على المؤمنين بالإسلام عقيدة فإن التعامل الثاني يضم إليهم المؤمنين بالإسلام شريعة فإن التعامل الأخير متاح حتى لغير المسلمين ولعل ما قام به كل من بوكاي وجاك بيرك وغيرهم ممن أظهروا تعجبهم من الحقيقة القرآنية دليل على ذلك. إلا أن القرآن يحسم هذه القضية من صفحاته الأولى حين يؤكد أن الإستفادة القصوى من هذا الكتاب العزيز لا تتأتى إلا لمن استكمل الأركان الثلاث وتجلت فيه حقيقة التقوى "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ..,الأيات"

وبنظرة عامة لا يسعنا في نهاية هذا البحث في أسفار حاج حمد وأطروحته إلا أن نبدي دهشتنا لهذه القدرة العالية على التجريد المستوعب لجزئيات ونكات في المنهج أهملها البعض وتجوز في تبيينها أخرون ثم تمدد الزمان لتصبح اشكالات منهجية تقف في طريق العقل الإسلامي دون الاستفادة من المعين المعرفي الجم الذي حواه القرآن ودلل عليه.

والأطروحة بفكرتها العامة تعبر عن إيمان عميق باعجاز وشمولية وكرم الرسالة القرآنية فهي زاخرة بالاشارات المنهجية والمعاني الروحية التي لا يستغني عنها متعامل مع القرآن كما يقول في العالمية الاسلامية الثانية " لم يغيَب الله المنهج في القرآن إلا كما غيب قوانين الطبيعة في حركة الظواهر فكما يعاني العالم الطبيعي حتى يستخرج المكنون في قانون الحركة كذلك هي العلاقة في مكنون القرآن – الذي هو أبعد غوراً – علاقة بالوعي والمعاناة مع المكنون..." [19]

غير أن الموقف العكوفي القائم على التسليم المطلق بمد من الإعجاب السلبي بالأطروحة وصاحبها سيحرمها ما تستحقه من النمو والتطور خاصة وأن صاحبها أكد أنه يعتبر ما أنجزه مجرد مقدمة في التحليل المنهجي وكيفيته آملاً في أن ينهض بالعبء الضروري طائفة من العلماء .

وبناء على ما سبق فإن خيط القناعات الناظمة لهذه الورقة يتسلسل بنا على النحو الآتي :

أ- لأهمية الاجتهاد فيما يتعلق بالرؤى الكلية وخطورة الآثار المترتبة على نتائجه ؛تبرز أهمية وجود ضوابط معيارية لتلك الرؤى وضبط علاقتها بالأصول، ومن نماذج هذه الضوابط ما وضعه بروفيسور محمد الحسن بريمة في مقدمة أطروحته

علاقة (المعية) التي يشير إليها حاج حمد مقدرة تقديراً. وإذا كانت المسألة بهذا الاتساع لصح أن معنى قول القائل (أتيت ورب البيت) أتيت ومعي رب البيت وهو ما لا يقول به من يجيد التعامل مع العربية بداهة .

[19] حاج حمد أبو القاسم : العالمية الإسلامية الثانية : جدلية الغيب والإنسان والطبيعة. المجلد الثاني: دار ابن حزم ، الطبعة الثانية ،1996م ، صـــ644-.

الكلية بقوله "أن الرؤية الكونية المستنبطة من القرآن الكريم لتكون ذات طبيعة عالمية وشمولية بمقتضى عالمية الخطاب القرآني وشمول علمه ينبغي أن تستوفى الشروط الآتية:

1/ أن تستمد مسلماتها الكلية من القرآن الكريم.

2/ ألاّ تعود على أي من كليات الدين التي أجمع عليها علماء الإسلام بالنقص، بل بالتأكيد.

3/ أن تتسم بالشمول بحيث تشمل الظاهرة الكونية بشقيها الطبيعي والاجتماعي .

4/ أن تتسم في بعدها الاجتماعي بالعالمية، بمعنى أن يكون بالإمكان أن تنشأ منها علوم اجتماعية قادرة على تفسير الظاهرة الاجتماعية في كل صورها.

5/ أن تتسم بالبساطة .

6/ أن يتحقق فيها التناسق الداخلي.20

ب. لاحظنا أيضاً أن المنهجية التي يفترعها حاج حمد في التعامل مع القرآن تولد اشكالاً حتمياً في التعامل مع السنة لذلك نقترح في هذا الجزء أن يتم استكماله اعتماداً على أطروحات أكثر أصالة في انتمائها إلى الحقول التخصصية للدراسات الإسلامية ومن أهمها نموذج (محمد الغزالي) المكون في كتبه الثلاث (منهجية التعامل مع القرآن وكتاب السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث وكتاب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم).

ج. تمثل نظرية حاج حمد في التعامل مع القرآن الجزء الأهم من أطروحته وتتركز هذه الأهمية حول مفهومين أو مقولتين تأسيسيتين: المقولة الأولى هي: منهج الاستكشاف أو اعادة الاكتشاف والمقولة الثانية هي مقولة الجمع بين القراءتين .تتأسس المقولة الأولى على نتائج الدراسات الحديثة (الغربية) في التعامل مع النص (الحفر الألسني والمنهج المعرفي) فتمثل بذلك نظرة من الخارج .تتأسس المقولة الثانية على أول ما نزل من القرآن (الآيات الخمس الأول من سورة العلق) فتمثل بذلك نظرة من داخل النص القرآني21.

وإذا كان حاج حمد يعول بشكل أكبر على مفهوم القراءة المزدوجة (قراءة بالله/قراءة مع الله) كمصدر قوة لأطروحته ، فإننا نرى أن أهم ما يميز منهجية حاج حد إذا أحسن توظيفها إنما قوامه هذه النظرة الثنائية للقرآن القائمة على (السبر)

---

20 محمد الحسن بريمة إبراهيم: الرؤية الكونية القرآنية كأساس للعلوم الاجتماعية الإسلامية ، خطة الخلق العامة ودعوى العالمية.

21 من رسالته لعبد الرحمن الحاج المنشورة على مواقع (الوحدة الاسلامية) (الشهاب) : " فمنهجي يرفض التماهي مع العصرنة بذات القدر الذي لا أخذ فيه بالتماهي التراثي (اللاهوتي) فكلاهما وليد (تاريخانية) تصادر النص القرآني، تاريخانية التراث وتاريخانية العصرنة. فمنهجي يرتبط بداخلية القرآن، محاولاً الاستماع إلى (وحيه الذاتي) – (من داخله) سواء توافق مع العصرنة أو لم يتوافق معها، فالفلسفة الكونية للإنسان قطعاً مختلفة عن مناهج التأويلات والمقاربة. "

القراءة من الداخل وهنا نرى أن هذا التوجه للقرآن من داخله يستوجب (التخلي) النفسي والعقلي عن الدوافع الذاتية والمؤثرات[22] كما يقتضي (التخلص) من تلك العوالق التي أشار إليها حاج حمد ويقتضي إلى جانب ذلك (الإخلاص) في التوجه للقرآن لتحقيق مراد الله(العبادة) وأهداف القرآن (الهداية). وبذلك يتأكد أن المنهج الأكثر موضوعية في التعامل مع القرآن هو ذلك المنهج المنبثق من داخله والمستمد حيثياته من القرآن نفسه ، و نظرية الجمع بين القراءتين تمثل في شق منها هذا الاتجاه.

د- و(الاستكشاف) القراءة من الخارج القائم على التجريب "قال أولم تؤمن قال بلى " وهو المراد بتثوير القرآن عند ابن مسعود الذي كان يوصي تلاميذه قائلاً "ثوروا القرآن تظهر لكم معانيه" مما يدل على أن التعامل المعرفي مع القرآن الكريم هو منهج قديم وملازم للقرآن منذ صدر الاسلام الأول إذا كان ذلك كذلك فإن أولى الناس بهذه الوصية في هذا الوقت هم العلماء والباحثين المسلمين في ميادين العلم المختلفة وإن أفضل الوسائل لتحقيق ذلك هو بتفعيل مناهج العلوم الأخرى في النص القرآني لاستخراج مكنوناته ، ذلك أن الطريقة التي تعامل بها الفقيه والقاضي والمفسر في تراثنا الإسلامي ليست إلا اجتهاداً محدوداً باحتياجات العصور التي ظهروا فيها ومما لا اختلاف حوله ان الأسئلة المطروحة أمام الباحث المعاصر في مجال العلوم الانسانية والطبيعية مغايرة لما كان مطروحاً في تلك العصور.

هـ- وللقيام بذلك فإن الأداة الأمثل التي تدلنا عليها خلاصة هذه الدراسة هي الشروع في احداث تفاعل مباشر بين المعرفة القائمة والمضمون القرآني هذا التفاعل المباشر هو السبيل الأمثل لفهم القرآن في ضوء معطيات العصر وتقريب الشقة بين المضمون القرآني والواقع الإنساني ومن المحاولات الهادية في هذا السياق ما فعله (مورس بوكاي) فخرج بحقيقة عدم تعارض القرآن مع العلم، وفعله (علي عزت بيجوفيتش) فانتهى إلى أن الثنائيات الغربية لا تنطبق على الظاهرة الإسلامية التي تقف كموقف ثالث مستقل عن الرؤية الدينية والرؤية العلمانية (الطريق الثالث) 23. وفعله (مالك بن نبي) في (الظاهرة القرآنية) وانتهى إلى أن ظاهرة النبوة هي سنة تاريخية وأن انتشار الاسلام بمعايير علم التاريخ (ليظهره على الدين كله) ما هو إلا اعجاز وطفرة لا يوجد ما يناظرها في مسيرة التاريخ الإنساني .

---

[22] فلا نتحد بغرض خارجي وفي هذا الإطار يجب أن تدرك تماماً أن دخولي عالم الفلسفة الكونية الإنسانية لم يكن في حد ذاته غرضاً دافعاً، ولكني حين بدأت كنت أبحث في القرآن عن منظور هذا الكتاب (لأزمة الإنسان) وفي (الدنيا) بمعزل عن وعظيات خطباء الجمعة لنحسن ثم يحسن الله – سبحانه – إلينا، ومن يومها كنت على موعد (غيبي(

[23] علي عزت بيجوفيتش : الاسلام بين الشرق والغرب ،نرجمة محمد يوسف عدس مؤسسة بافاريا 1990

المراجع:

أولاً: الكتب:

1. بوشهولز، تود. ج. : أفكار جديدة ترجمة نذيرة الافندي وعزة الحسيني ، المكتبة الاكاديمية ط 1 (القاهرة 1996م).
2. حاج حمد، أبو القاسم : العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة. المجلد الثاني: دار ابن حزم ، الطبعة الثانية ،1996م.
3. : منهجية القرآن المعرفية دار الهادي الطبعة الأولى 2003 .
4. لاندز، ديفير.س.: بروميثيوس بلاقيود .ترجمه : مي رفعت سلطان ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة /ط1 ،2005م .
5. محمد إبراهيم، أبو بكر محمد أحمد: مفهوم التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية .نشر المعهد العالمي للفكر لإسلامي ،واشنطن 2007م.

ثانياً: المقالات العلمية:

6. إبراهيم، محمد الحسن بريمة: الرؤية الكونية القرآنية كأساس للعلوم الاجتماعية الإسلامية ، خطة الخلق العامة ودعوى العالمية.
7. بيجوفيتش، علي عزت: الاسلام بين الشرق والغرب ،نرجمة محمد يوسف عدس مؤسسة بافاريا 1990
8. حاج حمد، محمد ابو القاسم: إسلامية المعرفة المفاهيم والقضايا الكونية مجلة تفكرُّ ، مجلد (3) ، عدد (2) ، 2001م/ 1422هـ الخرطوم.
9. حامد، قيس محمود: مجلة تفكر مجلد (6) ، عدد (2) ، 2005م / 1426هـ.
10. زين، إبراهيم محمد: إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر،قراءات ومراجعات مجلة إسلامية المعرفة العدد (6)السنة الثانية .
11. عبد السلام، طارق الصادق: القواعد العامة للمنهجية الإسلامية للعلوم ، مجلة تفكر مجلد (7)عدد(8) 2006م/1427هـ .
12. المرزوقي، أبو يعرب: مجلة تفكُّر ، مجلد (7) ، عدد (1) ، 2005م / 1426هـ .